مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 1069 – 1082
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث قراءة في الأدوار والأثر

Educational institutions in south-western Algeria in the modern era A reading of roles and impact

د/ موساوي مجدوب
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية – جامعة سعيدة
medjdoub70@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/04/19 تاريخ القبول: 2021/12/23

الملخص:
يكتسي موضوع المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر خلال الفترة الحديثة (القرنين 10 و11هـ/16 و17م) أهمية كبيرة؛ خاصة إذا ما عرفنا أنّ تأثيراتها كانت بالغة على المجتمع الجزائري في جميع الميادين؛ إذْ عَملت هذه المؤسسات بفضل القائمين عليها على نشر تعاليم الدين الإسلامي وتحفيظ كتاب الله وتلقين الطلبة والمريدين التربية الروحية ومختلف العلوم وحافظت على تماسك المجتمع وانتماءه.
هذه الأدوار النبيلة تركت الأثر الحسن في نفوس الجزائريين؛ فاجتهدوا في بنائها وتنافسوا في تشييدها تعبيرا واهتماما منهم بالعلم والعلماء، فتعددت وتنوعت هذه المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا وكتاتيب ومدارس قرآنية وأوقاف... سَنُعرف بها وبمختلف الأدوار التي ساهمت فيها بجنوب غرب الجزائر خلال هذه الفترة من خلال مقالنا هذا.
الكلمات المفتاحية: المساجد؛ الكتاتيب القرآنية؛ المدارس العلمية؛ خزانات الكتب؛ الزوايا؛ التعليم؛ جنوب غرب الجزائر؛ العصر الحديث.

Abstract:
The issue of Educational institutions in south-western Algeria during the modern period (the AH 10th and 11th centuries AH/16th and 17th CE) is of great importance, especially if we know that its effects were severe on Algerian society in all fields. As these institutions worked, thanks to those in charge of them, to spread the teachings of the Islamic religion, memorize the Book of God, teach students and followers spiritual education, and brain.
These noble roles left the good impact on the hearts of the Algerians, so they worked hard to build them and competed in the construction of them in terms of expression and interest of them in science and scholars. There are many and varied religious institutions like mosques, corners, katibs, quranic schools and endowments or aoukaf…We shall be known about them and the various roles that they contributed to south-western Algeria during this period through our article.
Key words: Mosques; Quranic schools; Scientific schools; Bookcases; The corners; Education; south-western Algeria; the modern period.

مقدّمة:

مثلت المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث (القرنين 10 و11هـ/16 و17م) مراكز للإشعاع الحضاري؛ إذ تعددت وتنوعت من مساجد وكتاتيب ومدارس ومكتبات وزوايا؛ تعدد وتنوع أدوارها ووظائفها في مختلف مجالات الحياة، إذ بمساهماتها هذه تمكنت من فرض وجودها على المجتمع

بهذا الإقليم بمختلف شرائحه وطبقاته، ونجحت كثيرا في تنظيمه وتسييره وساهمت بدور هام في نشر العلم والحفاظ على مقومات الدين الإسلامي واعتنت كثيرا بالتربية والتعليم.

تأسست هذه المؤسسات وانتشرت بهذا الإقليم نتيجة عوامل كثيرة منها؛ أنّه كان يمثل همزة وصل بين التل الجزائري في الشمال وصحراء السودان الغربي في الجنوب، كما أنّه مثل معبرا لقوافل الحجاج إلى جانب تمتعه بالطمأنينة والأمن. وقد عرفت الحركة العلمية مع هذه المؤسسات تطورا وازدهارا في شتى العلوم والفنون. ولهذا جاءت دراستنا هذه قصد التعريف بها من خلال ما ساهمت به من أدوار وما كان لها من أثر على الفرد والمجتمع حسب ما توفر لدينا من مصادر ومراجع عنها. ومن أهم هذه الدراسات نجد:

- كتاب "الرحلة العَلِيّة" للشيخ محمد باي بلعالم؛ تطرق فيه إلى واقع المؤسسات التعليمية بتوات ودورها في إنعاش الحركة الثقافية والعلمية.

أطروحة دكتوراه موسومة بـ: "المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية" لصالح بوسليم؛ أبرز من خلالها الأدوار التي ساهمت فيها المؤسسات الثقافية بتوات العلمية والثقافية.

وتتركز إشكالية مقالنا هذا في الإجابة على الأسئلة التالية:

هل شهدت منطقة جنوب غرب الجزائر خلال العصر الحديث حركة علمية؟ ثم ما هي أبرز المؤسسات التعليمية التي اشتهرت بعطائها العلمي والمعرفي؟ وما هو الأثر الذي تركته في الفرد والمجتمع؟

الإطار الجغرافي لإقليم جنوب غرب الجزائر:

يمتد إقليم جنوب غرب الجزائر من الهضاب العليا شمالا إلى وادي قاريت وهضبة مويدير وتنزروفت جنوبا؛ ومن العرق الشرقي الكبير وجبال العمور شرقا إلى حدود المغرب الأقصى ووادي مسعود وهضبة درعة غربا؛ يضم ثلاث مناطق رئيسية متباينة فيما بينها؛ وهي تقع جغرافيا بالتتابع من شمال الإقليم إلى جنوبه متمثلة في: منطقة القصور بوسط جبال القصور والمنتمية إلى سلسلة جبال الأطلس الصحراوي[1]، ومنطقة وادي السّاورة المحددة بمعالم طبيعية واضحة متمثلة في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا وهضبة درعة غربا وإيقدي وعرق شاش جنوبا، ومنطقة توات بأقصى جنوب غرب الجزائر والمشكلة من ثلاث وحدات أساسية متمثلة في: تينجورارين وتوات الوسطى أو تِسْوات وتيديكلت[2].

يضم إقليم جنوب غرب الجزائر سلسلة من القصور والمداشر ومجموعة من الواحات والمدن منها ما اندثر ومنها ما هو قائم إلى يومنا هذا؛ سكنته قبائل متعددة ومتنوعة عبر مراحل تاريخية تفاعلت مع بعضها البعض؛ إذ تَشَّكل من مجموعتين كبيرتين متباينتين من حيث نمط العيش؛ مجموعة عرفت حياة الاستقرار بالقصور؛ ومارست الفلاحة والتجارة وهي العناصر البربرية[3]، ومجموعة ثانية عرفت حياة الترحال والتنقل، وامتهنت الرعي وتربية الماشية وهي العناصر العربية؛ هذا التباين القبلي خلق نوعًا من التكامل بين المجموعتين في شتى المجالات؛ كما أكسب الإقليم خاصية روحية متمثلة في التصوف وأخرى اقتصادية متمثلة في مختلف الأنشطة من تجارة وزراعة ورعي[4]. كما عرف هذا الإقليم أيضا عناصر سكانية أخرى من اليهود والأفارقة نتيجة الهجرات المختلفة التي توالت عليه، بسبب تميّز موقعه الجغرافي وتوفره على الأمن والاستقرار. تعايشت هذه العناصر مع بعضها البعض حينا؛ وتصارعت حينا آخر لأسباب ودوافع كثيرة[5].

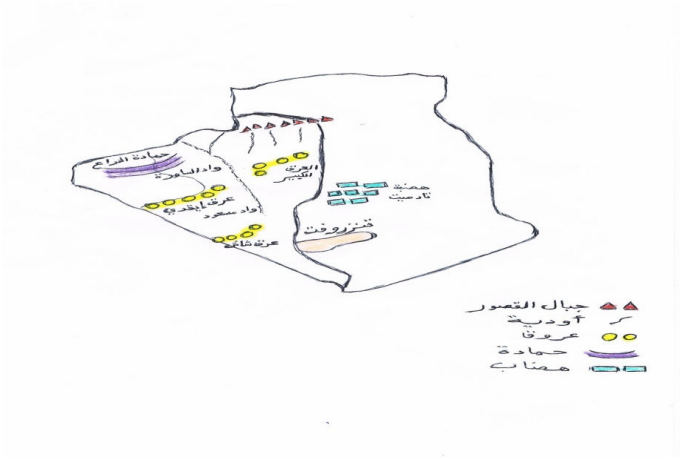

خريطة طبيعية لإقليم جنوب غرب الجزائر من إنجاز المؤلف

المؤسسات التعليمية بالجنوب الغربي الجزائري في العصر الحديث: تعددت وتنوعت؛ ونجد منها:

المساجد: لقد ورد ذكر المسجد في القرآن الكريم في العديد من الآيات؛ وكان أول ما اهتم به الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة هو بناء المسجد، لمكانته المرموقة وشأنه الكبير، ولما له أيضا من أدوار بارزة وفاعلة في حياة المسلمين، إذ كثيرا ما كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) مُشجعا على بنائها وحاثا ومرغبا فيها؛ ومنها قوله: "مَن بَنى لِلهِ تَعالى مَسجدًا بَنى اللهُ لهُ بيتًا فِي الجَنَّة"[6].

كما بَيَّن الرسول (عليه الصلاة والسلام) فضلها ومكانتها عند الله تعالى؛ بقوله: "أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"[7].

لم يتخلف أهالي قصور جنوب غرب الجزائر في بناء المساجد؛ إذ كانت من بين المظاهر والمنشآت المعمارية التي ميّزت قصورهم، إذ لم يكن أي قصر منها يخلو من مسجد، فأهم عنصر في القصر وأول ما يتم إنشاؤه بعد الاستقرار مباشرة هو المسجد.

وبالرغم من أهمية هاته المرافق الدينية في حياة الناس؛ إلا أن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا المقال لم تتطرق لها بصورة مُفردة، بل كُل ما وجدناه عنها عبارة عن نُتف بسيطة وغير كافية في ثناياها.

وإن كانت المساجد في الجزائر خلال الفترة الحديثة قد تعددت من حيث طرق تأسيسها وبناءها[8]، فإننا نجد المساجد بهذا الإقليم اهتم ببنائها شيوخ الزوايا والطرق الصوفية بمساعدة من السكان بدوا كانوا أو حضرا.

وما يلاحظ على هاته المساجد وهو أنّها كانت متواضعة وبسيطة في بنائها ومتقشفة في أثاثها وتجهيزها، فهي مبنية بالطوب والحجر، صوامعها منخفضة وفراشها بسيط من الحصير والزرابي، إذ اعتبرت أمثلة حيّة في البساطة[9].وفي هذا نجد قولا للبهنسي يُمكن لنا أن نتخذه كنموذج قد ينطبق عن هذه المساجد في هيئتها: "... المسجد من أهم المباني الإسلامية...بناءه بسيطا؛ مؤلفا من قطعة أرض تحيطها جدران، ويقام السقف على أعمدة من جذوع النخل أو على أعمدة حجرية مأخوذة من بناء قديم"[10].

وإلى جانب البساطة والتقشف التي طبعت مساجد قصور جنوب غرب الجزائر بصفة عامة؛ فإننا نجدها قد اختلفت في حجومها من حيث الاتساع والضيق، كمؤشر دال لها عن القبيلة ومِقياس لِقُوَّتِهم أو

ضُعفهم؛ وفي هذا الصدد يقول بابا حيدة عنها: "... وقصر القوم ومسجدهم يدل على عددهم من قلة أو كثرة، لأنَّ الناس لا تَبني إلا على قدر عددها غالبا "[11].

ولعل أقدم مسجد بالمنطقة هو مسجد تمنطيط[12] والذي حمل محرابه تاريخه سنة 106هـ-725م[13]؛ ومسجد المرابطين بأولف[14] والذي تَم بِناؤه سنة 164هـ-781م[15].

لم يكن المسجد بقصور جنوب غرب الجزائر مكانا لإقامة الصلاة فحسب؛ بل أصبح يؤدي دورا غاية في الأهمية، لما يجمع فيه من أنشطة كثيرة إذ كانت تُقدم فيه حِلق الذكر والعلم، وتُعقد فيه كل الأمور المهمة، ونجد في مسجد قصر بني عباس[16] الرئيسي قريبا من زاوية كرزاز[17] بالسّاورة أنموذجا رائدا في هذا المجال؛ إذ أقبل فيه الفقيه أحمد بن أبي محلي[18] على التدريس، وتنوعت دروسه فشملت اللغة وقواعدها والحديث والفقه والتصوف وأخذ عنه الكثير من الطلبة[19].

ونعتقد أن دروس أحمد بن أبي محلي؛ مسّت جميع مساجد القصور التي كان يتنقل إليها، ومنها بالأخص مسجدا قصر الشلالة الظهرانية[20] والتي أقام بها مدة من الزمن، وقصور بني جومي[21] حيث داره هناك بقصر بَرْبي[22].

كما درّس بالمسجد نفسه؛ عالم الجزائر سعيد بن إبراهيم قدورة عام 1015هـ-1606م مدة غير قصيرة، وخلال شهر رمضان من نفس العام، عقد هو وابن أبي محلي بهذا المسجد دروسا حديثية مشتركة على غرار ما كان يتبع في جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى، وكان قدورة يُمسك بيده نسخة البخاري وعليها سنده المتصل بمحدثي تلمسان؛ ويمسك ابن أبي محلي أخرى بسنده عن الفجيجيين (نسبة إلى قصر فجيج الواقع في أقصى جنوب شرق المغرب الأقصى)[23].

وعلى هذا المنوال سارت مساجد قصور توات[24] التي اشتهرت بحلقات دروسها اليومية؛ إذ كثيرا ما تَنافس علمائها في العلم والمعرفة، وعقدت بينهم محاورات ومدارسات، كان لها الأثر الطيِّب على الناس عامة الذين فهموا من خلالها أمور دينهم[25].

وبغرض قيام المساجد بوظائفها المتعددة من عبادة وتعليم وتربية؛ فقد ساهم الكثير من المحسنين في تقويتها من خلال أموالهم الموقوفة على القائمين بها؛ من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين والدارسين فيها والقيمين على رعايتها وتنظيفها وإضاءتها، إذ يسروا للجميع أسباب السكن والمعيشة[26].

وغالبا ما يكون وكيل المسجد؛ هو من يقوم بالإشراف على هاته الأملاك والأموال الموقوفة، من حيث إدارتها وإنفاقها في أوجه البر، من تعليم وممارسة للشعائر الدينية، والقيام بمراسيم الزواج والطلاق؛ وغيرها من مسائل أخرى خدمة ومنفعة لأهل البلدة.

أما إمام المسجد؛ فإنه يقوم بتعليم أبناء البلدة من التلامذة بعد إمامته لكل صلاة، إذ يجتمع معهم ليلقي عليهم دروسا متنوعة؛ بينما يتولى المؤذن نظافة المسجد، وإمداده بالماء للوضوء، مع المواظبة على فتحه في المواعيد المحددة للصلاة، ونظير تأديته هذه الأعمال له حصة سنوية من التمر من أغنياء البلدة[27].

لقد كان للمساجد بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث الفضل الكبير في جوانب متعددة على الناس عامة؛ فإلى جانب وظيفتها التربوية التي ساهمت بها في تقويم سلوك الفرد والمجتمع، نجدها كذلك قد أَثَرت في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس، فانتشرت المحبة وازدادت الأخوة بينهم مما انعكس إجابا على بناء وتقوية المجتمع بهذه المنطقة وكان لها الأثر الحسن في حياتهم؛ خصوصا وأنها كانت في بيئة أقل ما يقال عنها أنها بيئة صحراوية وقاسية، فظهر الأثر في استقرارهم وتعايشهم على اختلاف أصولهم وفي تحقيق التعاون والتآزر فما بينهم وفي ضمان تكوينهم العلمي والثقافي من خلال ما ساهمت به هذه المساجد

في نشر المعرفة والعلم بين الأفراد، إذ مثلت منابر لطرح مختلف المواضيع الدينية والعلمية والاجتماعية يحضرها كل الناس صغارا وكبارا يتعلمون العلم ويتفقهون في أمور دينهم. ومن هذه المساجد فإننا نجد:

- المسجد العتيق بقصر الشلالة الظهرانية؛ الذي يعود تأسيسه إلى سنة 920هـ-1514م[28]. كما تذكر لنا الرواية الشفوية بأنّ مسجد بوسمغون[29] الذي كان يحتل موقع الوسط داخل القصر يعود تأسيسه إلى بدايات الفتح الإسلامي.

- مسجد سيدي مَحمد بن أبي زيان[30] بالعوينة؛ والذي حفر له عين ماء بالقرب منه وسماها بـ "عين البركة"، وكثيرا ما كانت تُسّوى وتُعالج بهذا المسجد صُغرى القضايا التي كانت تحدث بين الناس بدوا كانوا أو حضرا من طرف إمامها؛ في حين كانت القضايا الكبرى تُعرض على الشيخ مَحمد بن أبي زيان وهو من يتولاها[31].

- مسجد سيدي أحمد بن موسى الكرزازي[32] بأقدال؛ إذ جعل عند بابه ساقية عرفت بساقية إتكوميت، وهذا بغرض توفير الماء للمصلين وضمان طهارته ونظافته، التي تكلف بها مؤذنه سيدي محمد بن إبراهيم البداوي، وكانت تقام بداخل المسجد الحضرة الكرزازية بعد كل صلاة؛ من الصبح إلى طلوع الشمس، وهذا طيلة فصل الشتاء[33].

- مسجد زاوية كنتة؛ والذي أسسه الشيخ أحمد الرقاد سنة 999هـ-1590م بعدما أتم بناء داره[34].

- مسجد قصر تنلان؛ والذي بناه أحمد بن يوسف الونقالي[35] سنة 1058هـ-1648م[36].

المدارس العلمية: عرفت المدارس العلمية هي الأخرى انتشارا واتساعا بقصور جنوب غرب الجزائر في العصر الحديث؛ حتى كاد لا يخلو منها قصر، ونعتقد أنّ أعدادها ارتبطت بتعداد المساجد أو الزوايا على حد سواء؛ إذ غالبا ما كانت تؤسس بجوارها، كما أنَّ شيوخ الزوايا أنفقوا عليها بسخاء من أموالهم، إلى جانب الأوقاف التي ساهمت بفعالية في انتشارها ونشر التعليم[37].

وإلى جانب أنَّ المدارس هي مؤسسات تعليمية مجانية لأبناء المسلمين؛ فإنها تميّزت عن الكتاتيب في أنها تُهيئ المساكن للطلاب الذين يخضعون لتنظيمها الداخلي.

وبخصوص مختلف العلوم التي كانت تُدرس بها؛ فإنَّ الطالب كان يَتلقى بها متون العقيدة كمتن السنوسية الصغرى والكبرى، جوهرة التوحيد، السلم المرونق...، ومتون الفقه كمتن ابن عاشر ومتن القرطبي ورسالة القيرواني والمدونة ومختصر خليل وغيرها من المتون الأخرى، إلى جانب اللغة والنحو؛ وهو مُطالب بحفظها في حين يقوم الشيخ بتفسيرها وحل ألفاظها.

وبعد إتقان هذه العلوم؛ ينتقل الطلبة إلى علوم الحديث والتفسير، إلى أن يتخرج الطالب من المدرسة وقد تَمَكَّنَ من علوم الشريعة وعلوم اللغة[38].

وغالبا ما كان التعليم بالمدارس يَتم عن طريق الحلقات العلمية المكثفة؛ والتي كانت تستغرق يوما كاملا حسب قدرة الشيخ، تستمر من بكرة كل يوم حتى الزوال، بعدها ينصرف الطلبة لتناول وجبة الغذاء لتستمر الفترة المسائية بعد صلاة العصر حتى صلاة المغرب.

وما وجب أن نشير إليه؛ وهو أنَّ الطالب بالمدرسة غير مقيّد بمدة زمنية بها، وله الحق في مغادرتها متى حصل له الاستيعاب، وبعد حصوله على الإجازة من الشيخ الذي يمليه أسانيدها.

وكثير من متخرجين هاته المدارس يتولون مناصب الإمامة والتدريس عند عودتهم إلى أهاليهم[39].

أما عن المدارس التي أخذت شهرة كبيرة؛ والتي كان لها الفضل الكبير في بعث الحركة العلمية بالمنطقة، فنجد أن توات تميّزت بهذا النوع من المؤسسات عن غيرها من المناطق الأخرى بجنوب غرب الجزائر؛ ومن أشهر هذه المدارس نجد:

- مدرسة زاوية تنلان؛ والتي عرفت نشاطا علميا كبيرا، فأصبحت مقصدا للطلبة من جميع نواحي توات[40].
- مدرسة الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الكريم[41] بتمنطيط؛ أنشأها لتدريس طلاب العلم بالمنطقة، وكان هو من يتولى التدريس بها بنفسه، فتخرج على يديه أبناءه وكثير من الطلبة.
- مدرسة بوحامد؛ والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي من طرف الشيخ أبو حامد الجعفري، بقصر بوحامد بتوات.
- مدرسة أنزجمير؛ التي أسسها مجموعة من علماء أنزجمير في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي.
- مدرسة لِمْطارفة؛ التي أسسها الشيخ الحاج محمد صالح في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي بقصر لمطارفة بمنطقة قورارة.
- مدرسة كوسام؛ التي أسسها البلباليون في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي بقصر كوسام.
- المدرسة الكنتية التواتية؛ وهي إحدى المدارس التي أسسها الكنتيون[42].

لقد كان لهذه المدارس العلمية هي الأخرى أثر في تقدم ورفاهية المجتمع بمنطقة جنوب غرب الجزائر في العصر الحديث من خلال رفعها لدرجة وعيّ أفراده والذين انفتحوا على بعضهم البعض، وتمكينهم من التمييز بين الخطأ والصواب فلا يعتدي أحدهم على الآخر، فصنعوا لأنفسهم حياة كريمة وراقية نتيجة ما تلقوه من علوم ومعارف بها، جعلتهم يعتمدون على أنفسهم ويستعدون لمواجهة صعوبات الحياة في هذه البيئة الصحراوية.

الكتاتيب: تعتبر الكتاتيب من بين المؤسسات التعليمية الدينية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي؛ لتثقيف الصغار وتربيتهم تربية حسنة، لهذا حرص جميع الجزائريين على إرسال أبنائهم إليها دون تهاون أو تردد.

كانت الكتاتيب تخضع لنظام حياة البيئة المتعارف؛ فهي مستقرة في المدن ومتنقلة في البوادي. وتعد الكتاتيب أول المدارس التي يلتحق بها الصبيان منذ سن الخامسة وأحيانا منذ الرابعة. وعادة ما كانت تتخذ بجانب المسجد أو الزاوية؛ تجنبا للتشويش على حلقات الكبار، وفصلا وتمييزا بين الأطوار التعليمية[43].

أما عن التعليم بكتاتيب قصور جنوب غرب الجزائر؛ فقد كانت تقاليده مُتشابهة بسبب ما كان يجمعهم من علاقات ثقافية وتجارية، فقد حرص سكانه على إدخال أبنائهم الكُتَّاب في سن مبكرة، ليتولى مسؤوليتهم (الطَّالَبْ) الحافظ للقرآن الكريم والمحيط بالضروري من علوم الدين؛ وقد كان يطلق عليه اسم "سي" أو "سيدي" وسط التلاميذ.

وأول ما يتعلمه هؤلاء الصبيان؛ هو الحروف الأبجدية والتي يتلقونها بطريقة شفوية، ثم يتعرفون على أشكالها في الألواح، وخلالها يحاول الطفل أن يتتبع بقلم القصب دون الحبر ما نحته له الطالب قصد تعويد أصابع يده على تعلم أولويات الكتابة، ثم يكتبونها باستعمال الحبر، وقد يكون بمساعدة أحد التلاميذ العارفين وهذا كمرحلة أولى.

أما في المرحلة الثانية؛ فإنَّ الصبيَّ يتدرج في كتابة آيات قرآنية، وانطلاق عملية تحفيظ القرآن الكريم بدءا بفاتحة الكتاب فسورة الناس فالفلق...؛ وهكذا من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل حتى يحفظوه عن

ظهر قلب ولو تكررت الختمات عدة مرات، وكثير من التلاميذ كان يتم الحفظ؛ وسنه لم يتجاوز العشر سنوات.

وما وجب أن نشير إليه؛ وهو أن عملية التحفيظ ارتبطت ببعض الأعراف الحسنة بالمجتمعات القصرية بجنوب غرب الجزائر، وهي في الغالب مشجعة ومحفزة على المداومة والاستمرار؛ متمثلة في إقامة وليمة كلما أتم الطفل حفظ جزء من القرآن، كحزب منه أو ربع أو نصف منه، تخصص الوليمة للصبي الحافظ وزملائه والطالب.

وإذا ما أتم حفظ القرآن كاملا؛ فيقام له حفل الختمة مُكافأة له، فَتُزَّيَّن يداه ورجلاه بالحناء، ويقوم الشيخ بتزيين ونقش لوحه...، ويجلس الحافظ لكتاب الله في ردهة الكُتاب وسط زملائه، وهم يرددون قصيدة البردة، ويتلقى بالمناسبة هدايا وعطايا المهنئين. وكان الغرض من هذا التكريم هو تشجيع وتحفيز التلاميذ الآخرين على حفظ القرآن الكريم.

بعد الانتهاء من حفظ القرآن؛ يتلقى التلاميذ بعض المبادئ في الفقه واللغة، بتحفيظهم متن ابن عاشر والأخضري والأجرومية؛ وبحفظهم لها يكون التلميذ مؤهلا للانتقال إلى مرحلة ثانية بالزاوية لأخذ العلم عن شيخها.

أما بخصوص توقيت الدراسة؛ فقد جرت العادة أن يتم تحفيظ القرآن كل صباح من الساعة الخامسة إلى العاشرة صباحا، وكل مساء من الساعة الواحدة إلى السابعة أو الثامنة مساءا؛ مع استراحة قبل صلاة العصر وهذا كل أيام الأسبوع باستثناء يومي الخميس والجمعة كعطلة أسبوعية في الغالب.

أما بخصوص العطل السنوية؛ فقد ارتبطت بالمناسبات الدينية كعيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف وعاشوراء.

وبالرغم من الدور الذي كانت تساهم فيه هذه الكتاتيب وسط مجتمعاتها؛ إلا أنّ مُعلميها كانوا من الطبقة الفقيرة يتقاضون أجورا زهيدة لقاء قيامهم بمهمة التعليم، والتي كانت في الغالب مِمَّا كان يتصدق به عليهم أولياء التلاميذ من التمر والقمح خلال السنة[44].

ورغم أنَّ هاته المؤسسة التعليمية تميّزت بالبساطة، وبأساليبها التقليدية في التعلم، وقلة إمكانياتها المادية؛ إلا أنَّها كان لها الأثر البالغ الأهمية في المحافظة على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي وفي تحفيظ الناشئة القرآن الكريم، وتعليمهم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وإعدادهم وتربيتهم تربية حسنة.

المكتبات: ارتبط ظهور المكتبات بالمساجد والزوايا بجنوب غرب الجزائر؛ وعرفت باسم خزائن الكتب التي لم تكن تَقتصر على ما يُنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، بل شملت كتب كل العالم الإسلامي؛ وبصفة خاصة الحجاز والأندلس والمغرب واسطنبول[45].

ولما كانت الزاوية مكانا للتعليم؛ فإنَّها كانت لا تخلوا من خزائن للكتب، مُلحقة بها تضم كتبا في مختلف العلوم الدينية واللغوية. وقد حرص شيوخ الزوايا على جمع الكتب واقتنائها؛ هذا الحرص يتجلى لنا من خلال ما بذلوه من جهود لأجل تزويد خزائنهم بالكتب سواء عن طريق التأليف أو الشراء أو النسخ أو الإهداء، كما عملوا على تعيين خِيرة الناس على تسييرها والإشراف عليها، وغالبا ما يكونون من أحد أبناء وحفدة شيخ الزاوية.

وقد ساهمت كثير من العوامل في تطوير هاته الخزائن؛ ومنها بصفة خاصة تنقل العلماء والطلبة بمختلف زوايا جنوب غرب الجزائر، وحركتا القوافل التجارية وركب الحجيج، وما كانوا يجلبونه معهم من كتب ومخطوطات، سمح لهاته الزوايا من الاطلاع عليها ونسخها أو حتى شرائها؛ ومن هاته الخزائن نجد:

- خزانة الشيخ سيدي مَحمد بن أبي زيان بزاويته بالقنادسة[46].
- خزانة الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم بتمنطيط.
- خزانة الشيخ سيد أحمد بن موسى بزاويته بكرزاز.
- خزانة الشيخ عبد الكريم المغيلي.
- خزانة الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بقورارة.
- خزائن قصور: بودة، المطارفة، تمنطيط، كنتة، أقبلي...وغيرها من خزائن أخرى.

وإلى جانب خزائن الزوايا؛ فإنَّ كثيرا من الخاصة كانوا يملكون كُتبا في بيوتهم بمنزلة هاته الخزائن؛ ولنا في هذا مثالا عن خزانة الشيخ محمد بن إسماعيل المسناوي[47] بقورارة[48].

اهتمام مشايّخ المؤسسات التعليمية وحرصهم على بناء المكتبات وتطويرها هو إدراكهم الكامل للأثر الحسن الذي يتركه قراءة الكتاب في نفسية الفرد المتعلم وفي حياته بزيادة مستوى إنتاجيته وتفاعله وتعاطفه ووعيه وهو ما عاد بالنفع الكبير على المجتمع بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري في هذا العصر في تطويره وارتقاء مستواه المعرفي والحضاري باعتبار أن القراءة هي من المحركات الرئيسية والأساسية لأي نهضة؛ خصوصا وأن المتعلم بهذه المنطقة لم يكن بمقدوره شراء الكتاب لغلاء سعره.

الزوايا: مما ميّز العصر الحديث بالجزائر هو انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المُخصصة لها (الزوايا)؛ وبصفة خاصة بمنطقة الجنوب الغربي، الذي ظلت بيئته بيئة جذب واستقطاب لعدد كبير من العلماء والشيوخ؛ الذين كانت لهم مساهمات في تأسيس العديد منها.

وقد كان لهاته الزوايا أدوارا بالغة الأهمية؛ من خلال ما ساهم به شيوخها في مجالات متعددة من الحياة الاجتماعية للناس بدوا كانوا أو حضرا، ونتيجة لهذا انضموا إليها طواعية وعملوا على تقويتها من خلال ما قدموه لها من صدقات وهبات وهدايا متنوعة كانت تتغذى منها؛ إلى جانب مواقعها الهامة التي تمركزت بها، بأهم نقاط معابر ركب الحجيج الرئيسية وقوافل التجارة الصحراوية، كما أنّ مواقعها شكلت همزة وصل بين التل والصحراء الكبرى.

فالزاوية لغة تعني ركن البناء[49]. كما أنها كلمة مشتقة من الفعل انزوى؛ بمعنى ابتعد وانعزل، وسميّت كذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين؛ اختاروا الانزواء بمكانها للاجتهاد في الأمور الدينية بعيدا عن ملذات الدنيا وشهواتها[50].

أما اصطلاحا؛ فإنها أطلقت في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المُصّلى[51].

كما نجد تعريفا آخرا للزاوية ببلاد المغرب لابن مرزوق الخطيب؛ بقوله: "على أنها المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصرين"[52].

فَيُفْهم من قول ابن مرزوق؛ أنَّ الزاوية في عهده كانت مؤسسة اجتماعية وإحسانية، تهتم بإيواء عابر السبيل والغريب وإطعامهم؛ إلا أننا نجد أن هذه المؤسسة قد تطورت بعده، لتشمل في وظائفها ميادين أخرى، وبصفة خاصة التعليم وتصبح بذلك مؤسسة تعليمية أيضا؛ من خلال تعليمها وتحفيظها للقرآن الكريم وتدريسها لمختلف العلوم الدينية واللغوية.

كما أنّ مصطلح الزاوية قبل عهد ابن مرزوق حوالي القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ارتبط بالرباط؛ وذلك لملازمة المسلمين لثغور العدو قصد الجهاد في سبيل الله والحراسة[53].

ومن خلال مقالنا هذا؛ وحَسَب ما توفر لدينا من مصادر ومراجع مختلفة، يُمكن تقسيم مؤسسة الزوايا بمنطقة جنوب غرب الجزائر من حيث وظائفها؛ إلى ثلاثة أنواع هي:

زوايا التصوف: غالبا ما تكون هاته الزوايا ملكيتها خاصة؛ لصاحبها ومؤسسها شيخ الطريقة الصوفية، ومَشيختها تنتقل بالتوارث بين أبنائه عند وفاته. عملت على تربية المريدين المنقطعين للعبادة والذكر، كما لجأ إليها أيضا طلبة العلم القادمين إليها من مختلف الجهات قصد الدراسة والتعليم.

اعتمدت هاته الزوايا في تموينها على أملاكها الخاصة الموقوفة عليها؛ ومختلف الصدقات والتبرعات التي يجود بها المحسنون والأتباع.

ولعل أول ظهور لهذا النوع من هاته الزوايا بمنطقة جنوب غرب الجزائر؛ هي الزاوية القادرية بتوات لصاحبها محمد بن عبد الكريم المغيلي، في أواخر القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي، لتنشأ زوايا أخرى بالمنطقة كزاوية سيدي بوتخيل[54] بأربا التحتاني وزاوية الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ بالأبيض وفجيج وزاوية سيدي مَحمد بن أبي زيان بالقنادسة وزاوية سيدي أحمد بن موسى بكرزاز وزاوية سيدي أحمد الرقادي بكنتة وغيرها من زوايا أخرى[55].

زوايا العلم: لم يكن لها من هم إلا نشر العلم؛ من خلال تعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مختلف العلوم الدينية واللغوية؛ يلتحق بها الطلبة من جهات مختلفة بعد اجتيازهم للمرحلة الابتدائية في الكتاتيب. عرفت نظاما دقيقا في تسيِّرها من حيث مواقيت الدراسة والعلوم المدرسة بها.

نجد هذا النوع من الزوايا قد تميّزت به منطقة توات؛ عند كثير من العائلات والأسر العلميّة بها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر العائلة البكرية بتمنطيط والعائلة التنلانية بتنلان[56].

زوايا الإطعام: عُرفت بأنَّها مؤسسات خيرية؛ مختصة في إيواء وإطعام الضيوف والفقراء والمساكين وعابري السبيل، ظهرت نتيجة ظروف البيئة القاسية بجنوب غرب الجزائر من جهة؛ ووقوعها بالطريق الذي يسلكه الحجاج والتجار من جهة ثانية، مِمَّا أَهَّلها لكي تكون محطات رئيسية للاستراحة وأماكن مهمة للتزود بمختلف الاحتياجات.

وفي هذا النوع ذكرت لنا المراجع الكثير من هاته الزوايا؛ ومنها: زاوية سيد البكري بن عبد الكريم وزاوية سيدي علي بن حنيني وزاوية سيدي عبد القادر بن عومر وزاوية بني يخلف بكرزاز وزاوية القنادسة والزاوية الرقانية...[57].

ومما يجدر الإشارة إليه؛ وهو أن أغلب زوايا منطقة جنوب غرب الجزائر، جمعت في كثير من الأحيان بين هاته الوظائف الثلاث في آن واحد، بين التصوف والعلم والإطعام.

أما عن أدوار هاته الزوايا فقد تعددت مهامها لتشمل مجالات كثيرة نذكر منها؛ تقوية الرابطة بين أفراد المجتمع من خلال فضها للنزاعات، وإصلاح ذات البين؛ بغرسها لقيم التسامح والعفو والصبر. كما اهتمت كثيرا بطبقة الفقراء والمساكين؛ بتقديم لهم مختلف المساعدات. واهتمت بتعليم الناس وتثقيفهم بتلقينهم مختلف العلوم والفنون؛ بل أكثر من هذا؛ فقد كان لبعضها مُساهمات في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي.

هذه الأدوار المتعددة للزوايا كان لها الأثر الحسن على المجتمع خصوصا وأنها قامت على قاعدة بشرية عريضة غطت جميع فئاته من عامة وخاصة؛ فبفضلها عَمَّ الحق والعدل باعتبار أنها كانت ملجأ للمتخاصمين منهم لحل المنازعات وتسوية الخلافات بين الناس بالصلح والتسامح. كما انتشرت روح التضامن والتكافل الاجتماعي عَرَفَتْ المنطقة من خلاله استقرارا وأمنا في هذا العصر بدل الاضطرابات والفوضى التي كانت سائدة.

هذه النتائج لم يكن لها أنْ تَعرف النجاح؛ لولا ما تميَّزت به هاته الزوايا من تنظيم مُحكم ودقيق في هيكلها البشري والمادي، يَّسر كثيرا من أداء مهامها وساهم أيضا في استمرارها ووجودها؛ إلى جانب ما كانت تتمون به من مصادر متنوعة ومتعددة.

خاتمة:

وكخاتمة لما سبق ذكره نجد أن المؤسسات التعليمية بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث(القرنين 10 و11هـ/16 و17م) تعددت وتنوعت من مساجد وكتاتيب ومدارس قرآنية ومكتبات... وعرفت انتشارا وكثافة في كامل المنطقة وقد ساهم في تأسيسها كثير من العلماء والعبّاد والمتصوفة الذين كان لهم الدور البالغ الأهمية في إبرازها كمراكز إشعاع حضاري داخل واحاتها بالصحراء إلى جانب موقعها المنفتح؛ والذي شكل همزة وصل وتواصل بين تل الجزائر في الشمال والصحراء الكبرى ببلاد السودان الغربي في الجنوب، ومعبرا هاما لقوافل التجارة الصحراوية وقوافل الحجاج بين الجنوبيين الجزائري والمغربي من الغرب إلى الشرق.

ساهمت هذه المؤسسات بدور بارز وهام في نشر العلم والتربية الروحية بين السكان وحافظت على مقومات الدين الإسلامي واللغة العربية وتفعيل الحياة الثقافية والاجتماعية وقدمت خدمات جليلة للناس في مختلف مجالات الحياة. أملنا أن نكون قد وفقنا في التعريف بها وبأدوارها المختلفة وبأثرها من خلال مقالنا هذا والتي لابد من المزيد من البحث والنظر فيها قصد الكشف عن الكثير من المعلومات التي تخص تراثنا الثقافي والحضاري في هذا العصر.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية المخطوطة:

- أحمد بن أبي محلي (تـ 1021هـ-1612م)، أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر، مخطوط رقم 431 أدب، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- عبد الرحمان بن محمد بن مزيان اليعقوبي، فتح المنان في سيرة الشيخ مَحمد بن أبي زيان، مخطوط بدون رقم تصنيف، الخزانة الزيانية القندوسية، القنادسة، بشار.
- عبد القادر بن أبي حفص عمر، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بدون رقم التصنيف، خزانة الوليد بن الوليد، قصر با عبد الله، توات، أدرار، الجزائر.
- محمد بن عبد الحق بن عبد الكريم، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط ضمن مجموع بدون رقم التصنيف، خزانة زاوية المهدية، أدرار.

المصادر العربية المطبوعة:

- أحمد أبو العباس بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى -الدولة السعدية-، تحقيق وتعليق وَلَدَّيْ المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، القسم الثاني، ج6.
- أحمد أبو العباس بن يحي الونشريسي (المتوفى بفاس سنة 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ-1981، ج 7.
- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده، راجعه سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1421هـ-2000م، ج7.
- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006، مج 1.

- محمد بن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خسيوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ–1981م.
- محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (ت896هـ–1490م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ج 1.
- محمد بن عبد الكريم الكرزازي (كان حيّا سنة 1296هـ-1879م)، المنّاقب المعزّية في مآثر الأشيّاخ الكرزّازيّة، دراسة وتحقيق وتعليق موساوي مجدوب ولد علي، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019.
- محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تص السيد هوداس، مطبعة بردين انجي، 1888.
- محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور (بابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
- مسلم أبو الحسين بن الحجاج (206-261هـ)، صحيح مسلم المسمى المُسند الصحيح المختَصَر من السُّنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، تشرف بخدمتها والعناية بها أبو قتيبة نظر محمد الفاريبي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م.
- ابن منظور (630–711هـ)، لسان العرب، تص أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1419هـ–1999م، ج 6.

المراجع العربية المطبوعة:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، طبعة خاصة، ج 1.
- أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- بشار قويدر وحساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، منشورات وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1999.
- خليفة بن عمارة، كتاب النسب الشريف متبوعا بشرفة الجنوب الغربي، ترجمة بوداود عمير، مكتبة جودي مسعود، وهران، 2009.
- صالح بوسليم، المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 و13هـ/18 و19م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد مجاود، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سيدي بلعباس، 2007–2008م.
- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق، لبنان، 2002.
- عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء وادي السّاورة تاريخًا ومناقب وبطولات، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، 1434هـ-2013م، الطبعة الأولى، ج 2.
- عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، دار الطلاس، د.ت.
- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومه، 2005.
- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2007، ج 1.
- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ-1978م، ج 2.
- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ–1996م، الطبعة الأولى، ج5.
- محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، المرادية، الجزائر، د.ت.
- ميلود سرير وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، (فرقة بحث)، جامعة أدرار، 2000، ج 1.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Bernard saffroy, Chronique du Touat (des repères pour une histoire), C.D.S, Ghardaïa.
- François COMINARDI, au cœur des monts des ksours, le KSAR de chellala dahrania, in tradition et modernité, revue d'architecture et d'urbanisme, Alger, N°.2.

الهوامش:

[1]- François COMINARDI, au cœur des monts des ksours, le KSAR de chellala dahrania, in tradition et modernité, revue d'architecture et d'urbanisme, N°.2,Alger,1995, P.45.

[2]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج 1، دار هومه، 2005، ص ص 11 – 25.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده، راجعه سهيل زكار، ج6، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1421هـ-2000م، ص 158.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 27 – 174.

[5]- عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء وادي السّاورة تاريخًا ومناقب وبطولات، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013م، ج 1، ص ص 300 – 319، وج 2، ص 269.

[6]- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206-261هـ)، صحيح مسلم المسمى المُسند الصحيح المختَصَر من السُّنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، تشرف بخدمتها والعناية بها أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الحديث رقم 533، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحثّ عليها، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، ص 241.

[7]- مسلم، صحيح مسلم، (م.ن)، الحديث رقم 288، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، ص 301.

[8]- المساجد في الجزائر خلال الفترة الحديثة بعضها قام بِبِنائِها وتأسيسها الحُكام؛ ويَعتبرون هذا جزءا من واجبهم الديني لخدمة المجتمع الإسلامي ومساعدته في تأدية شعائره الدينية؛ كمساجد مدن الجزائر، تلمسان، قسنطينة... ولم نجد لهذا النوع أي أثر في الإقليم المحدد لنا بالدراسة، كونه كان بعيدا عن السلطة المركزية الحاكمة. كما نجد مساجد من نوع آخر؛ قام بتأسيسها الأثرياء من الناس بهدف التقرب إلى الله –عز وجل-، وهي بأعداد كبيرة بالجزائر خلال هذه الفترة؛ إلا أننا لم نجد أي إشارة لها بجنوب غرب الجزائر، وهذا حسب ما اطلعنا عليه من مصادر. محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (ت896هـ–1490م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ج 1، ص 247. محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 49.

[9]- أحمد مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 14.

[10]- عفيف البهنسي، العمارة عبر التاريخ، دار الطلاس، د.ت، ص 153.

[11]- محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور (بابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 24.

[12]- يعرفها بابا حيدة؛ بقوله: "تمنطيط اسم لمدينة بإقليم توات؛ وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والرياسة، وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع...، هي رئيسة البلدان... متصلة البنيان في قصور غير متباعدة ... وحولها أصول وبساتين، ماؤها فقاقير جارية...قيل وقصور عددها ثلاثمائة وستة وستون قصرا، يستضاف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر ". بابا حيدة، القول البسيط، (م.ن)، ص ص 13 – 14.

[13]- Bernard saffroy, Chronique du Touat (des repères pour une histoire),C.D.S, Ghardaïa, p.1.

[14]- من قصور تيديكلت بشرق إقليم توات.

[15]- صالح بوسليم، المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 و13هـ/18 و19م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد مجاود، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سيدي بلعباس، 1428–1429هـ/2007–2008م، ص 176.مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، الهامش رقم 2، ص 154.

[16]- يقول عنها أحمد بن أبي محلي: " ...وأما بنو عباس؛ وهم قرى مشهورة بوادي السّاورة...". ويقول عنها أبو سالم العياشي: "... وهي ثلاث قرى متصلة في سفح جبل صغير على شفير الوادي، فيها نخل كثير وفاكهة وبساتين حسنة، وفيها ساقية من الماء الجاري العذب، وبأحد قراها كان سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي محلي القائم فيما مضى؛ ومنها كان ابتداء أمره وقيامه وداره إلى الآن معروفة...".أحمد أبو العباس بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي العباسي (تـ 1021هـ-1612م)، أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر، مخطوط رقم 431 أدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص 380.عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006، مج 1، ص 76.

[17] يقع جنوب قصر الزاوية الكبيرة بنحو 6 كلم؛ يمثل مقر الزاوية الكرزازية والطريقة الأحمدية الموساوية، وهو قاعدة بلاد وادي السّاورة. عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء وادي السّاورة، المرجع السابق، ج 2، ص ص 259 -315.

[18]- هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابن محلي؛ ثائر متصوف، من العلماء.ولد بتافيلالت سنة 967 هـ-1559م، ترك العديد من التآليف. محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تص السيد هوداس، مطبعة بردين انجي، 1888، ص ص 200 -209.أحمد أبو العباس بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى-الدولة السعدية-، تحقيق وتعليق وَلَدَيْ المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، القسم الثاني، ج 6، ص ص 26 -34.

[19]- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ-1978م، ج 2، ص 626.

[20]- من قصور ولاية البيض حاليا؛ يوجد به ضريح والد سيدي الشيخ محمد بن سليمان.

[21]- تعرف اليوم بتاغيت إحدى بلديات ولاية بشار.

[22]- قرية من قرى بلاد بني جومي (تاغيت)؛ ألف بها الفقيه أحمد بن أبي محلي كتابه الموسوم " المنجنيق " سنة 1017هـ-1603م.

[23]- حجي، الحركة الفكرية، (م.س)، ج 2، ص 627.

[24]- تقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية، تشمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن 350 قصر. بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 76-78.

[25]- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 325.وج 2، ص ص 85 – 129.

[26]- أحمد أبو العباس بن يحي الونشريسي (المتوفى بفاس سنة 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ-1981، ج 7، ص ص 334 -335.

[27]- فرج، المرجع السابق، ص ص 30 -31.

[28]- COMINARDI, op.cit, P.46.

[29]- بوسمغون من دوائر ولاية البيض حاليا؛ يقول العياشي عنها: «...بوسمغون أرخص من كثير البلاد التي مررنا عليها قبل...من عادة أهلها أن يخرجون إلى المصلى بسلاحهم لا يخرج أحد بغير سلاح صغيرًا كان أو كبيرًا، ويَبنون في المصلى أحجارًا يتخذونها غرضًا للرمي بالبنادق...وغالب الناس مشتغلون بالرمي حتى في حال الصلاة والخطبة...». العياشي، الرحلة العياشية، (م.س)، ص ص 548-549.

[30]- تنتسب إليه الزاوية والطريقة الزيانية بالقنادسة؛ من بين الشخصيات الصوفية الهامة، وأحد الوجوه المُميّزة جدا في جنوب غرب الجزائر. ولد بإحدى قصور بني جومي سنة 1060هـ-1650م، وتوفي شهر رمضان سنة 1145هـ-فيفري 1733م بالقنادسة. لتفاصيل أكثر عن حياته أنظر: عبد الرحمان بن محمد بن مزيان اليعقوبي، فتح المنان في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان، مخطوط بدون رقم تصنيف، الخزانة الزيانية القندوسية، القنادسة، بشار.

[31]- اليعقوبي، فتح المنان، (م.ن)، الأوراق 66، 328 – 329.

[32]- هو أحمد بن موسى الإدريسي الحسني، من أشهر رجال الطرق الصوفية، مؤسس الطريقة الكرزازية الشهيرة، ولد سنة 907هـ-1505م، عاش إلى أن تجاوز المائة، توفي سنة 1016هـ-1608م. اشتهر بالعلم والصلاح والشرف. محمد بن عبد الكريم الكرزازي (كان حيا سنة 1296هـ-1879م)، المناقب المعزية في مآثر الأشياخ الكرزازية، دراسة وتحقيق وتعليق موساوي مجدوب ولد علي، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019، ص ص 38-41، 55-74.

[33]- الكرزازي، المناقب المعزية، (م.س)، ص 58.

[34]- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر،ج 1، 2007، ص 242.بشار قويدر وحساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، منشورات وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1999، ص 20.

[35]- هو أحمد بن يوسف بن محمد بن علي الوانقالي؛ ثم التينيلاني، ولد سنة 1002هـ–1593م. نشأ في بيت علم ومعرفة، كان أحد الأئمة العلماء، وكان صالحا ورعا زاهدا ". توفي سنة 1078هـ–1667م بزاويته، ودفن بها وعمره ناهز 76 سنة.عبد القادر بن أبي حفص عمر، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بدون رقم التصنيف، خزانة الوليد بن الوليد، قصر با عبد الله، توات، أدرار، الجزائر، الورقة 3-4.

[36]- بن أبي حفص، الدرة الفاخرة، (م.ن)، الورقة 4 -6.

[37]- مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، ص 15.

[38]- فرج، المرجع السابق، ص ص 86 -87.

[39]- بلعالم، الرحالة العليّة، (م.س)، ج 1، ص ص 325 -326.

[40]- بن أبي حفص، الدرة الفاخرة، (م.س)، الورقة 1 -4.

[41]- تنتسب إليه الزاوية البكرية بتمنطيط وأشْتُهر بلقب قاضي الصحراء. ولد بتمنطيط سنة 1042هـ-1633م؛ تذكر لنا المصادر أنه تنقل في طلبه للعلم؛ وزار الكثير من المدن والبلدان، ودرس على يد كثير من الشيوخ. توفي سيد البكري عن عمر ناهز التسعين سنة. محمد بن عبد الحق بن عبد الكريم، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط ضمن مجموع بدون رقم التصنيف، خزانة زاوية المهدية، أدرار، الأوراق 28-29.

[42]- بوسليم، المؤسسات الثقافية، (م.س)، ص 176.

[43]- مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، ص ص 18 -19.

[44]- بلعالم، الرحلة العليّة، (م.س)، ج 1، ص ص 264-266. مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.ن)، ص ص 18-19، 236-237.

[45]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، طبعة خاصة، ج 1، ص 287.

[46]- كانت تعرف قديما باسم العوينة؛ وهي اليوم من بلديات ولاية بشار.

[47]- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الدلائي؛ المشهور بالمسناوي من العلماء.توفيّ سنة 1136 هـ، ترك الكثير من التصانيف؛ منها: "جهد المُقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر" و"القول الكاشف عن الاستبانة في الوظائف" و"الهمة إلى تحقيق أهل الذمة" و"التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق". محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، (1101–1150هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ–1996م، الطبعة الأولى، ج 5، ص 1980.

[48]- بشار وحساني، مخطوطات ولاية أدرار، (م.س)، ص 9 وما بعدها.

[49]- ابن منظور (630–711هـ)، لسان العرب، تص أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ج 6، 1419هـ–1999م، ص 120.

[50]- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق، لبنان، 2002، ص 301.بلعالم، الرحلة العليّة، (م.س)، ج 1، ص 315.

[51]- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت، ص 27.

[52]- محمد بن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خسيوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ–1981م، ص 413.

[53]- نسيب، زوايا العلم، (م.س)، ص 88.

[54]- هو أحد أحفاد الولي الصالح عبد القادر الجيلاني، ينتسب إلى السيدة فاطمة بنت الرسول –عليه الصلاة والسلام-. من الأولياء والصلاح.عاش في أواخر القرن 15م وأواسط القرن 16م.قبره مشهور ومزار بقصر أربا بولاية البيض. خليفة بن عمارة، كتاب النسب الشريف متبوعا بشرفة الجنوب الغربي، ترجمة بوداود عمير، مكتبة جودي مسعود، وهران، 2009، ص ص 91 – 92، 100، 105.

[55]- نسيب، زوايا العلم، (م.س)، ص 103.بلعالم، الرحلة العليّة، (م.س)، ج 1، ص 332.حوتية، توات والأزواد، (م.س)، ج 1، ص 233. مريوش ومجموعة أساتذة، الحياة الثقافية، (م.س)، 150، 154.

[56]- ميلود سرير وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، (فرقة بحث)، جامعة أدرار، 2000، ج 1، ص ص 148 – 150. بلعالم، الرحلة العليّة، (م.ن)، ج 1، ص 323.حوتية، توات والأزواد، (م.ن)، ج 1، ص 233.

[57]- سرير وآخرون، دور الزوايا، (م.ن)، ج 1، ص 34.نسيب، زوايا العلم، (م.س)، ص ص 103 -119.